

الصرفة بين القائلين بها والمعارضين لها

إعداد الباحث

محمد بن عبد الله القرعاوي

المحاضر بكلية التربية جامعة حائل

الصرفة بين القائلين بها والمعارضين لها

محمد بن عبد الله القرعاوي

قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

البريد الجامعي: s44270258@st.uqu.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تناول فكرة الصرفة عند القائلين بها، والرد عليهم، ويستتير في سبيل ذلك بالمنهج الاستردادي، والمنهج التحليلي. والصرفة عند القائلين بها تعني إما أن الله تعالى سلب العرب العلوم التي بها يقتدرون على الإتيان بمثل القرآن، أو صرف همهم عن المعارضة، أو أن الله تعالى صرفهم عن المعارضة مع قدرتهم عليها، وقد ظهر القول بالصرفة في نطاقات: أهل السنة، والمعتزلة، والشيعية، كما أن المعارضين لها من أهل السنة والمعتزلة والشيعية، وهي من الأفكار التي تسللت إلى البيئة الإسلامية مع ما تسلل من أفكار الفلاسفة مع حركة الترجمة، وهي فكرة منقوضة بالشرع والعقل، كما أنها منقوضة بالدليل الدامغ القائم بين أيدي الناس، وهو اختلاف القرآن الكريم في نسجه ومعناه عما ألف الناس من كلام العرب قبل الإسلام وبعده نثرا وشعرا، وقد أثبت المعارضون لها إعجاز القرآن الكريم، إعجازا ذاتيا، وأن العرب إنما عجزوا عن معارضته لتعذر ذلك عليهم، وليس لصرفهم عنه. والقول بالصرفة فيه تفرغ للقرآن الكريم عن أعظم ما ميزه الله تعالى من الإعجاز اللغوي.

الكلمات المفتاحية: الصرفة - القائلون بالصرفة - المعارضون للصرفة

Al Sarfah Issue between Endorsers and Opponents

MOHAMED ABDULLAH AL-QAR'AWI

The Holy Book and Prophet Muhammad's (Pbuh), College of Da`wah "Islamic Call" and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Mecca, Saudi Arabia.

University E-mail: s44270258@st.uqu.edu.sa

Abstract:

The research aims to discuss the idea of Al Sarfah for endorsers, and respond to them. It is enlightened for this by the historical approach, and the analytical approach. Al Sarfah according to endorsers, means either that Allah (God) Almighty prevent the Arabs of the sciences by which they were able to produce the like of the Qur'an, or distracted them from opposition, or that Allah (God) Almighty distracted them from opposition despite their ability. Al Sarfah has appeared in the domains of: Sunni Islam, Mu'tazila, and Shia Islam (*Shiite*). Further, the Opponents are among Sunni Islam, Mu'tazila, and Shia Islam (*Shiite*). It is one of the ideas that infiltrated the Islamic environment along with the ideas of philosophers that infiltrated with the translation movement. It is an undermined idea by Sharia and Reason, as well as by the irrefutable evidence that exists in the hands of people, which is the difference of the Holy Qur'an in its weaving and its meaning from what the people composed of the words of the Arabs before and after Islam in prose and poetry. Opponents have proven the I'jaz (Inimitability) of the Qur'an, and that the Arabs were unable to oppose it because it was impossible for them, not because they were distracted. Al Sarfah Issue has an emptying of the Holy Qur'an the greatest that God Almighty distinguished from the linguistic miracles.

Keywords: Al Sarfah – Endorsers – Opponents.

مقدمة

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، وتحدى به أهل الفصاحة والبيان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن معجزة الإسلام الباقية، ولقد توفرت همم أعداء الإسلام قديماً وحديثاً على محاولة النيل منه، والوقية فيه؛ لعلمهم أنه بيضة الدين، وهو مع السنة النبوية الشريفة مثابة الناس إلى الدين الصحيح؛ إذا تفرقت بهم السبل.

ولقد تعددت فرى أعداء الإسلام، فقالوا إنه أساطير الأولين، وقالوا إنما يُعلمه بشر، وقالوا إنما هو سحر وكهانة، وهم -قبل غيرهم- يعلمون ضلال ما ابتدعوا، وكذب ما افتروا.

والقول بالصرفة حلقة في سلسلة الهجوم على القرآن الكريم، وإن كانت قد صدرت من قوم يُنسبون إلى الإسلام، ونحن إن أحسنا الظن بهم قلنا إنما دعاهم تعظيم العقل وتقديسه إلى الظن أنهم قادرون على معارضة القرآن بمثله، مع إقرارهم بأنه معجز بأمر خارج عن ذاته، وهو صرف الله العرب عن معارضته.

وقد توجهت همم أهل السنة والجماعة إلى دفع هذه الشبهة، وبيان الإعجاز الذاتي للقرآن الكريم، وسموه عن قدرة البشر عن معارضته.

ونحن في هذه الصفحات سنعرج على التعريف بالصرفة والقائلين بها والرد عليهم، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد والقبول.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع وأسباب اختياره من جلال ما يتعلق به، وهو القرآن الكريم، وضرورة المنافحة عنه في مواجهة الزيغ والأهواء.

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن سؤال: ما هي الصرفة؟ ومَن القائلون بها؟ وكيفية الرد عليهم؟

منهج البحث:

أستتير في تناول بحثي بالمنهج التاريخي وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية^(١).

فنقوم باسترداد الآراء والأقوال في مسألة الصرفة، وبيان كونها أثراً لحركة الترجمة، والإشارة إلى ما يترتب عليها من آثار.

والمنهج التحليلي وهو أسلوب البحث الذي يعتمد على تحليل عينات معينة من زاوية محددة... والبحث فيها عن سمات معينة ونسبة كل سمة فيها.

فيتم تحليل آراء القائلين بالصرفة، للوقوف على مصدرها، وكيفية الرد عليها.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومشكلة البحث وخطته.

المبحث الأول: تعريف الصرفة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصرفة في اللغة.

المطلب الثاني: الصرفة في الاصطلاح.

(١) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ص ٦٨، دار النهضة: القاهرة، ١٩٦٣م.

المبحث الثاني: تاريخ القول بالصرفة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة القول بالصرفة.

المطلب الثاني: سبب القول بالصرفة.

المطلب الثالث: المؤلفات في القول بالصرفة.

المبحث الثالث: أبرز القائلين بالصرفة وأدلتهم.

المبحث الرابع: أبرز المعارضين بالقول بالصرفة وأدلتهم.

المبحث الخامس: الرأي الراجح في القول بالصرفة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمصادر والمراجع والفهارس.

المبحث الأول تعريف الصرفة

المطلب الأول: الصرفة في اللغة:

الصرفة اسم مشتق من الفعل الثلاثي "صَرَفَ" بمعنى أبعد، ومنه صرف الشيء من وَجْهِهِ إلى وَجْهِ آخَرٍ، ومنه تصريف الرياح، وهو صرفها من جهة إلى جهة^(١)، وللمادة "صَرَفَ" معان متعددة ذكرها أصحاب المعاجم اللغوية نذكر منها باختصار ما ذكره ابن فارس حيث قال: "الصاد والراء والفاء معظم بابِه يدلُّ على رَجْع الشيء. من ذلك صَرَفْتُ القومَ صَرَفًا وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا. والصَّرِيف: اللَّبَنُ ساعةٌ يُحَلَبُ ويُصَرَفُ به. والصَّرْفُ في القرآن: التَّوْبَةُ؛ لأنَّه يُرْجَعُ به عن رتبة المذنبين. والصَّرْفَةُ: نجم. قال أهلُ اللُّغة سَمَّيْتُ صرْفَةً لانصراف البرد عند طلوعها."^(٢).

قال الخليل: "الصَّرْفُ أن تصرف إنسانا على وجه يريده إلى مصرف غير ذلك"^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: "الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إيداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف"^(٤).

فالكلمة تعني الرد والإرجاع، ومن هنا جاء معنى الصرفة.

(١) انظر تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، ١١٣/١٢، مادة صرف، تحقيق: محمد مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٢٠٠١م.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا ٢٦٩/٣، مادة صرف، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٣) العين، الخليل بن أحمد الفرهيدي ١١٠/٧، مادة صرف، تحقيق: مهدي السامرائي، إبراهيم المخزومي، دط، دار الهلال: القاهرة، دت.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن أحمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص ٤٨٢، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، دار القلم: دمشق، ١٤١٢هـ.

المطلب الثاني: الصرفة في الاصطلاح:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الصرفة اصطلاحاً:

وفيما يلي أعرض لتلك التعريفات:

١- قال أبو سليمان الخطابي في تعريفه للصرفة هي "صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدوراً عليها، وغير معجزة عنها؛ إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات"^(١).

٢- وقال علي بن عيسى الرماني في تعريفه للصرفة هي "صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة؛ وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول"^(٢).

٣- وقد لجأ صاحب هذا التعريف وهو حمزة العلوي إلى التفصيل، فيقول: "واعلم أن قول أهل الصرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة، لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال:

التفسير الأول: أن يريدوا بالصرفة أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة، مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز، والاستئزال عن المراتب العالية، والتكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

التفسير الثاني: أن يريدوا بالصرفة أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، حمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، ص ٢٢، تحقيق: محمد خلف الله، محمد سلام، ط ٣، دار المعارف: القاهرة، ١٩٧٦م.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، الرماني المعتزلي، علي بن عيسى بن علي، ص ١١٠، تحقيق: محمد خلف الله، محمد سلام، ط ٣، دار المعارف: القاهرة، ١٩٧٦م.

وجهين، أحدهما أن يقال: إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار، لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحاها عنهم، وثانيهما أن يقال: إن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم من تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة.

التفسير الثالث: أن يراد بالصرفة أن الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة، مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحاصل الأمر في هذه المقالة: أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن، إلا أن الله تعالى منعهم بما ذكرناه^(١).

ويقول الشريف المرتضى: فإن قيل: بينوا كيفية مذهبكم في الصرفة. قلنا: الذي نذهب إليه أن الله تعالى صرف العرب عن أن يأتوا من الكلام بما يساوي أو يضاهي القرآن في فصاحته وطريقته ونظمه، بأن سلب كل من رام المعارضة العلوم التي يتأتى ذلك بها، فإن العلوم التي بها يمكن ذلك ضرورية من فعله تعالى فينا بمجرد العادة^(٢).

ولعل كلام الشيخ أبي زهرة يُلخص معنى الصرفة عند القائلين بها، إذ يرون أن (انصراف العرب عن معارضتهم للقرآن لم ينشأ من أن القرآن بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة بل لواحد من ثلاثة:

أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

ثانيها: أن صارفا إليها زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إرادتهم ولم تنبعث

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ٢١٨/٣، ط ١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٣هـ. وانظر أيضا لنقل هذا التفصيل من الكتب الحديثة: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط، ص ١٠٣. مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص ٥٩، ط ١، دار المسلم: الرياض، ١٤١٦هـ.

(٢) الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي ص ٣٨٠، تحقيق: السيد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي: قم، إيران.

إليها عزائمهم فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.

ثالثها: أن عارضا مفاجئا عطل مواهبهم البيانية وعاق قدرهم البلاغية وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها^(١).

وعليه فإن الصرفة عندهم إن كانت بصرف الهمم؛ فهذا يعني أنهم قادرون عليها، ماكون لأدوات معارضة للقرآن، ولكن الله صرفهم.

وإن كانت الصرفة بمعنى سلب العلوم والمعارف، فهذا يعني عجزهم أصلا عن المعارضة لعدم وجود الملكة المعينة عليها.

ويرى الباحث أن الصرفة في ضوء ما تقدم هي: صرف الباري جل وعلا قلوب وعقول وهمم المعاندين للقرآن الكريم عن معارضته، مع قدرتهم الذاتية على الإتيان بمثله.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم ٣٠١/٢، ط١، دار الفكر: بيروت، ١٩٩٦م.

المبحث الثاني تاريخ القول بالصرفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة القول بالصرفة:

لم يكن لفكرة الصِّرفَة وجود في البيئة العربية، فالعرب مع اقتدارهم اللغوي، وتصرفهم في فنون القول كيف شاءوا، مع كل هذا لم يقل أحد منهم بالصرفة، ولو على سبيل التخلص والاعتذار من عجزهم عن معارضة القرآن، بل أخذوا بأسلوبه، ويتسللون لسماعه، وما انفرد أحد منهم مع رسول الله؛ فقرأ عليه القرآن إلا رجع بغير الوجه الذي ذهب به، وعتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة أوضح مثالين على هذا.

من أجل هذا فإن القول بالصرفة ليس نابعا من البيئة العربية، وإنما قدم إليها كما قدم كثير من التيارات والأفكار الغربية عن البيئة العربية والعقل العربي.

فمع بدء حركة الترجمة من الحضارات الهندية والصينية والفارسية، و"مع التأثر الجارف بالفلسفات الوافدة، ذهب بعض المسلمين إلى ما عُرف بنظرية الصرفة، التي تأثرت بما يقوله الهنود عن كتابهم المقدس "الفيدا"، إذ اعتقد البراهمة أنهم يعجزون عن الإتيان بمثله؛ لأن براهما صرفهم عن ذلك، وفي مقدور الخاصة محاكاته، ولكنهم ممنوعون احتراماً، وذهب إبراهيم النظم المعنزلي هذا المذهب، فكان يعتقد أن القرآن ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع من الإتيان بمثله، فبلاغته لا تزيد على بلاغة سائر الناس، وهو من جنس كلام البشر"^(١).

(١) المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، ص ٥٧، دط، دار الفكر: بيروت، دت. وانظر أيضا: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد

يقول البيروني عن اعتقاد الهندوس في كتابهم المقدس "الفيدات":
"والمحصلون منهم يزعمون أنّ ذلك في مقدورهم لكنهم ممنوعون عنه احتراماً
له"^(١).

والمتأمل يُدرك الفرق بين قول الهندوس في كتابهم وبين قول من قال
بالصرفة من المعتزلة، حيث إن الهندوس يرون الصرفة من فعل البشر احتراماً
لكلام الخالق عندهم، بيد أن من قال بالصرفة من المسلمين يرى أن هذا أمر
إلهي، فإله - بزعمهم - هو الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله مع قدرتهم عليه.

ف"القول بالصرفة من أقوال المعتزلة"^(٢)، "ويرون أن إعجاز القرآن في
(الصرفة) لا أنه في نفسه مُعْجِز، أي أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته
لأتوا بما يعارضه"^(٣).

وأول من قال بالصرفة من المعتزلة إبراهيم بن سيار، المعروف بالنظام،
وهو شيخ المعتزلة في زمانه^(٤)، وتبعه على ذلك من عاصره ومن جاء بعده
منهم.

وقد نقل أبو الحسن الأشعري عن النظام قوله: "الآية والأعجوبة في القرآن

الخرائط، ص ١٠٣، دط، مجمع الملك فهد: المدينة المنورة، دت. وانظر أيضاً: مباحث في إعجاز
القرآن، د. مصطفى مسلم، ص ٥٩، ط ١، دار المسلم: الرياض، ١٤١٦هـ. والصرفة دلالتها لدى
القائلين بها وردود المعارضين لها، د. سامي عطا حسن، ص ٦، بحث مقدمة لجامعة آل البيت في
الأردن. وفكرة النظم في تطورها وأهدافها، د. عرفة بسيوني، ص ٣٥.

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني، محمد بن أحمد ص ٨٩، ط ٣،
عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن ص ٤، تحقيق: محمود شاكر، ط ٣، مطبعة
المدني: القاهرة، دار المدني: جدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(٣) خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر صاحب كتاب الأعلام، أحمد العلوانة ص ٨٠،
ط ١، دار القلم: دمشق، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله، ٢/٢٢٦، ط ١، دار المعرفة: بيروت،
١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

المطلب الثاني: سبب القول بالصرفة:

يمكن بيان سبب القول بالصرفة من خلال النقاط التالية:

١- التأثير بحركة الترجمة التي ظهرت في الدولة الأموية واتسعت عصر الدولة العباسية^(١)، وظهر أثرها في كثير من الأفكار التي ظهرت في البيئة الإسلامية، فلا يستبعد أبداً أن يكونوا تأثروا بقول الهندوس، ثم أضافوا إليه من عندهم.

٢- ذهب المعتزلة -فيما ذهبوا إليه من عقائد- إلى القول بالتحسين والتقيح العقلي^(٢).

وكان أكثر الخلفاء تسامحا المأمون، فظهر في هذا العصر نفر من رؤوس المتكلمين، أوغلوا في البحث معتمدين على العقل، مخالفين بما يقولون ما عليه علماء المسلمين^(٣).

وفي هذا ما لا يخفى من تعظيم العقل، وهذا التعظيم للعقل عند المعتزلة هو قاعدة قولهم بالصرفة، حيث تقوم على الظن باقتدار الخلق على معارضة كلام الله تعالى، وذلك بلا ريب عمل العقل.

٣- يلجأ المعتزلة ويجهدون أنفسهم في البحث عن علل الأحكام الشرعية، وهو اتجاه عقلي كما لا يخفى، ولكن الملمح البارز ما يسمونه "المصلحة".

والمصلحة عند المعتزلة "هي المقصد الذي يدركه العقل بعد التعليل، وهي

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، شركة سفير ٨٠/٢.
(٢) أباكار الأفكار في أصول الدين، الأمدي، علي بن محمد بن سالم ١١٧/٢، تحقيق: أحمد المهدي، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
(٣) انظر: المعارف، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ص ٥١، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٢م.

خلاصة معاني الألفاظ، وقد عظم المعتزلة أمر المصلحة، واعتبروها من أصول مذهبهم، حتى قال الخياط عن المصلحة: "وكل من انتحل العدل أي الاعتزال يقول بها ويعتقدها". وهذا التعظيم للمصلحة يؤدي في النهاية إلى اعتبار خلاصة النصوص ومعانيها دون الالتفات إلى نظمها وأسلوبها^(١).

وعليه فإن ميلهم إلى القول بالصرفة يتوافق مع تعظيمهم للعقل، واهتمامهم بالمعاني دون المباني.

هذا مع ما اشتهر به المعتزلة من اقتدار لغوي فاقوا به كثيرا من غيرهم.

وأما من قال بها من أهل السنة، فإنهم اعتبروا أن القرآن مُعجز بشكل من الأشكال، وهو مع قولهم بالصرفة أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته، مع قدرتهم على ذلك، وهذا في حد ذاته إعجاز للقرآن، وإن لم يكن إعجازا ذاتيا.

وهم وغيرهم محجوجون بالأدلة العقلية والشرعية التي أوردنا منها في هذا البحث، وأورده علماء الأمة على اختلاف فرقهم وتوجهاتهم، وسوف تأتي الإشارة إلى جماعة منهم في هذا البحث.

(١) القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد، الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، ص ٤٣، ط١، دار ابن الجوز: الدمام، ١٤٣٢هـ.

المطلب الثالث: المؤلفات في القول بالصرفة:

هناك مؤلفات عامة في الأديان والمذاهب تناولت القول بالصرفة ضمن مباحثها، وكتبٌ تخصصت في الكلام عن الصِّرفة، وفيما يلي عرض ما وقفت عليه من مراجع في هذا الأمر مرتبة على حروف المُعجم:

أولاً: الكتب المتخصصة في الصِّرفة:

١. الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها، د. سامي عطا حسن، بحث مقدمة لجامعة آل البيت في الأردن. فكرة النظم في تطورها وأهدافها، د. عرفة بسيوني.

٢. إعجاز القرآن بالصرفة دراسة ناقدة، محمود توفيق محمد سعد.

٣. القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد، الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، ص ٤٣، ط ١، دار ابن الجوز: الدمام، ١٤٣٢ هـ.

٤. الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، تحقيق: محمد رضا الأنصاري (القمي)، مؤسسة الطباعة والنشر: قم إيران.

ثانياً: كتاب عام ذُكرت فيها الصرفة:

١- أبكار الأفكار في أصول الدين، الأمدي، علي بن محمد بن سالم، تحقيق: أحمد المهدي، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م.

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله، ط ١، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

٣- بيان إعجاز القرآن، الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم.

- ٤- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، محمد بن أحمد.
- ٥- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود شاکر، ط٣، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني: جدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ٦- الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي، تحقيق: السيد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي: قم، إيران.
- ٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ٨- عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد بن محمد الخراط.
- ٩- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، ط٢، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٠- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ط١، دار المسلم: الرياض، ١٤١٦هـ.
- ١١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق، تصحيح: هلموت ريتز، ط٣، دار فرانز شتاينز: ألمانيا، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ١٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، ط١، دار الفكر: بيروت، ١٩٩٦م.
- ١٣- النكت في إعجاز القرآن، الرماني المعتزلي، علي بن عيسى بن علي.

- ١٤- المغني، لعبد الجبار الهمداني المعتزلي.
- ١٥- الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني.
- ١٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط٨،
دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

المبحث الرابع

أبرز القائلين بالصرفة وأدلتهم

أشهر الفرق التي نسبت إليها الصرفة المعتزلة، وأشهر من نسبت إليه منهم إبراهيم النظام، وهشام الفوطي^(١)، وعباد بن سليمان^(٢)، ومن الشيعة الشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي، ومن أهل السنة أبو إسحاق الإسفراييني^(٣)، وابن حزم الظاهري.

والحق أن غالب المعتزلة لم يقولوا بالصرفة، وإنما انفرد بذلك بعض منهم على رأسهم إبراهيم النظام.

يقول الأشعري: "واختلفوا في نظر القرآن هل هو معجز أم لا على ثلاثة أقاويل: فقالت المعتزلة إلا النظام، وهشام الفوطي، وعباد بن سليمان: تأليف القرآن ونظمه معجز، محال وقوعه منهم، كاستحالة إحياء الموتى منهم، وأنه علم لرسول الله"^(٤).

(١) أبو محمد الفوطي المعتزلي الكوفي، صاحب نكاه وجدل وبدعة ووبال، قال المبرد: قال رجل لهشام الفوطي: كم تعد من السنين؟ قال: من واحد إلى أكثر من ألف قال: لم أرد هذا كم لك من السن؟ قال: اثنان وثلاثون سنا قال: كم لك من السنين؟ قال: ما هي لي كلها لله قال: فما سنك؟ قال: عظم قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن أم وأب قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لقتلني قال: ويحك! فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عمرك.

قلت (الذهبي): هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعرين من العلم عبارات وشقاشق لا يعبأ الله بها يحررون بها الكلم عن مواضعه قديما وحديثا، فنعوذ بالله من الكلام وأهله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٢/٨، دط، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) أبو سهل عباد بن سلمان، البصري المعتزلي، من أصحاب هشام الفوطي، يخالف المعتزلة في أشياء اخترعها لنفسه. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٣٥/٨.

(٣) أشار إلى ذلك العلامة الزرقاني، وإن كان استعظم نسبة القول إليه بذلك. يُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم ٣٠١/٢.

(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٢٢٥، تحقيق: هلموت ريتز، ط ٣، دار فرانز شتايز: ألمانيا، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

إبراهيم النظام^(١):

أشهر من نسب إليه القول بالصرفة من المعتزلة، وليس له كتبٌ تحال عليها أقواله، ولكن نسب إليه القول بالصرفة في غير موضع.

فيقول أبو الحسن الأشعري نقلاً عنه: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم^(٢).

ويقول الشهرستاني ذكراً أقواله: "التاسعة: قوله في إعجاز القرآن إنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتيوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً"^(٣).

وقد حاول محمود شاكر أن يبين وجه الصرف الذي قصده النظام، فذكر أن العجز عن معارضة القرآن كالعجز عن الإتيان بأي معجزة سابقة، وأن للعجز عن معارضة القرآن ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة العجز الأولى عن أفعال خارجة عن طاقة البشر، استأثر الله بالقدرة عليها.

الثانية: مرحلة العجز الثانية التي خلقها الله في نفوس الخلق عن معارضة

(١) شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف إبراهيم بن سيار، تكلم في القدر وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر... ولا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق... ولم يكن ممن نفعه العلم، وقد كفره جماعة، وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوثة والبعث، ويخفي ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ٥٢٩/٨.

(٢) مقالات الإسلاميين، الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق ص ٢٢٥.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ٥٧/١، دط، مؤسسة الحلبي: مصر، دت.

القرآن عند إنزاله والتحدي به.

الثالثة: مرحلة العجز الحادث عند محاولة معارضة القرآن.

وقد حاول بعض الباحثين تخريج هذا القول على أصول مذهب النظام الاعتزالي الذي كان ينافح عنه ويرد تجني الأشاعرة عليه، فيقول: واستعراض بعض آراء النظام تكشف زيف نسبة رأي الصرفة إليه، بالصورة التي يروجها الأشاعرة عنه، فالنظام لم يكن يقول بأن الصرفة هي الوجه الوحيد للإعجاز، وإنما يقول بأن الصرفة هي أبرز وجوه إعجازه، وهو معجز بغير ذلك^(١).

قال الإمام ابن القيم: "وقال النظام منهم: ليس في نظم كلام الله سبحانه إعجاز، كما ليس في نظم كلام العباد إعجاز، وزعم أكثر المعتزلة أن الزنج، والترك، والخزر قادرون على الإتيان بمثل نظم القرآن وبما هو أفصح منه، وإنما عدموا العلم بتأليف نظمه، وذلك العلم مما يصح أن يكون مقدورا لهم"^(٢).

هل قال الجاحظ بالصرفة؟:

جاء في البيان والتبيين: "وقد جعل الله قوم كل نبي هم المبلغين والحجة. ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك عجزة"^(٣).

وفي هذا إشارة واضحة إلى عدّه نظم القرآن الكريم معجزاً، وليس ممكناً صرف الله تعالى العرب عن معارضته.

غير أن الجاحظ في كتابه "الحيوان" أشار إلى نوع من الصرفة، مفاده أن

(١) القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد، عبد الرحمن الشهري، ص ٥٨، ٥٩.

(٢) مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، أبو بكر بن أيوب، ١١/١، تحقيق: رضوان رضوان، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٨هـ.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ١٩٨/٣، دط، دار الهلال: بيروت، ١٤٢٣هـ.

القرآن الكريم معجز، وليس في مقدور البشر معارضته، إلا أن الله تعالى -حفظاً لكتابه أن يكون ملعبة لمحاولات المعارضة- صرف عموم الناس عن ذلك زمن النبوة.

يقول: "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب والنساء وأشباه النساء ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال فقد رأيت أصحاب مسيلمة وأصحاب ابن النواحة إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه وأخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له"^(١).

وعليه فإن الجاحظ لم يقل بالصرفة كما قال بها النظام وغيره، على المعنى الذي سلف تفصيله في التعريف الاصطلاحي لها.

وإنما الصرفة عنده إنما كانت لحماية القرآن من معارضة الذين يتكفون هذه المعارضة ليموهوا على أغرار الناس، ومن لا علم لهم بمزايا نظم القرآن، وإلا فإن القرآن كان وما يزال معجزاً في هذا النظم"^(٢).

الشريف المرتضى:

يقول الشريف المرتضى: الصرفة على هذا إنما كانت بأن يسلب الله تعالى كل من رام المعارضة، وفكر في تكلفها في الحال العلوم التي يتأتى منها مثل

(١) فوات الوفيات، صلاح الدين الصفدي، محمد بن شاكر بن أحمد ٢٢٢/٢، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر: بيروت، ١٩٧٣، ١٩٧٤م.

(٢) الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي صفحة ط، تحقيق: محمد القمي، مؤسسة الطبع والنشر: الأستانة، دت.

فصاحة القرآن وطريقته في النظم، وكيفية الصرف هي بأن لا يجدوا العلم بالفصاحة في تلك الحال، فيتعذر ما كان مع حصول العلم متأتياً. وإذا لم يقصد المعارضة، وجرى على شاكلته في نظم لشعر، ووصف الخطب، والتصريف في ضروب الكلام خُلِّيَ بينه وبين علومه، وما يُقال: إن هذا القول يوجب أن يكون القرآن في الحقيقة غير معجز، وأن يكون المعجز هو الصرف عن معارضته، فنقول له: بل إن القرآن هو المعجز من حيث كان وجود مثله في فصاحته وطريقة نظمه متعذراً على الخلق، من دون اعتبار سبب التعذر؛ لأن السبب وإن يعود عندنا إلى الصرف؛ فالتعذر حاصل على كل حال. هكذا ثبت أن القرآن هو العلم على صدق دعوة النبي ﷺ، وأن معارضته متعذرة على الخلق، وأن ذلك مما انحسرت عنه الأطماع، وانقطعت فيه الآمال، فالتحدي بالقرآن وقعود العرب عن المعارضة يدلان على تعذرها عليهم، وأن التعذر لا بد أن يكون منسوباً إلى صرفهم عن المعارضة^(١).

ابن سنان^(٢) الخفاجي:

ذكر صاحب "فوات الوفيات" كتب ابن سنان الخفاجي، فذكر منها "كتاب الصرفة"^(٣).

يقول ابن سنان: "وأما قوله^(٤) إن القرآن من المتلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى وهو يعنى بذلك جميع كلام العرب فليس الأمر على ذلك ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية ومتى رجع الإنسان

(١) الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) الشريف المرتضى، ص ١٧، ١٨.
 (٢) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الشاعر الأديب... توفي مسموماً سنة ٤٦٦ هـ، وكان يرى رأي الشيعة الإمامية. انظر: فوات الوفيات للصفدي ٢/٢٢٠.
 (٣) فوات الوفيات، صلاح الدين الصفدي، محمد بن شاكر بن أحمد ٢/٢٢٢، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار صادر: بيروت، ١٩٧٣، ١٩٧٤ م.
 (٤) يقصد أبا الحسن علي بن عيسى الرماني المعتزلي.

إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب هي ما يضاهاى القرآن في تأليفه ولعل أبا الحسن يتخيل أن الإعجاز في القرآن لا يتم إلا بمثل هذه الدعوى الفاسدة والأمر بحمد الله أظهر من أن يعضده بمثل هذا القول الذي ينفر عنه كل من علق من الأدب بشيء أو عرف من نقد الكلام طرفاً. وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك^(١).

ونُسب إليه أنه "زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة - حتى صار معجزة للنبي ﷺ - وأن كل فصيح بليغ قادر على الاتيان بمثله، إلا أنهم صُرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة، وهو مذهب الجماعة من المتكلمين والرافضة، منهم بشر المريسيّ والمرتضى أبو القاسم، قال في تضاعيفه: وقد حمل جماعة من الأدباء قول أصحابنا أنه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحديّ على أن نظموا على أسلوب القرآن، وأظهر ذلك قوم وأخفاه آخرون، ومما ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه: أقسم بخالق الخيل، والريح الهابّة ليليل، بين الشرط ومطلع سهيل، إنّ الكافر لطويل الويل، وإنّ العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل، تتج وما إخالك بناج. وقوله: أدلت العائذة أباهاً، وأضاءت الوهدة رباها، والله بكرمه اجتباها، أو لاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال وصباها، ولا يخاف عقباها"^(٢).

قال ابن العديم: "وهذا الكلام الذي أورده ابن سنان هو في كتاب "الفصول والغايات في تمجيد الله تعالى والعظات" وهو كتاب إذا تأمله العاقل المنصف علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبه بنظم القرآن العزيز والمناقضة،

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد ص ١٠٠، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي ٣٢٥/١، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

فإنه كتاب وضعه على حروف المعجم، ففي كل حرف فصول وغايات، فالغاية مثل قوله: نباج، والفصل ما يقدم الغاية، فيذكر فصلا يتضمن التمجيد أو الموعظة ويختتمه بالغاية على الحرف من حروف المعجم، مثل تاج، وراج، وحاج، كالمخمسات والموشحات في الشعر وله كتاب آخر كبير نحو ستين مجلدا على هذا الوضع أيضا سماه «الأيك والغصون» وسماه «الهمزة والردف» يتضمن أيضا تمجيد الله تعالى والثناء عليه والمواعظ، ولم ينسبوه فيه إلى معارضة القرآن العزيز، وإنما نسبوه في الفصول والغايات لا غير، وقد كان له جماعة يحسدونه على فضله ومكانته من أبناء زمانه تصدّوا لأذاه، وتتبعوا كلامه وحملوه على غير المقصد الذي قصده كما هو عادة أبناء كل زمان في افتراء الكذب واختلاق البهتان، ووقفت له على كتاب وضعه في الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه رموه بسببها بالكفر والطغيان، سمي الكتاب "بزجر النابح" ورد فيه على الطاعن في دينه والقادح^(١).

هشام الفوطي وعباد بن سليمان:

نقل الشهرستاني عنهما: "قال هشام وعباد لا نقول إن شيئا من الأعراض يدل على الله سبحانه ولا نقول أيضا إن عرضا يدل على نبوة النبي، ولم يجعل القرآن علما للنبي، وزعما أن القرآن أعراض"^(٢).

وهذا أفتح من القول بالصرفة، فإن القول بالصرفة ينفي الإعجاز الذاتي للقرآن، ولكنه يُثبت إعجازا خارجا عنه، أما هذا القول فإنه ينفي أي دور للقرآن في الدلالة على الله، أو على نبيه ﷺ.

قول ابن حزم في الصرفة:

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله ٢/٨٨٠، ٨٨١، تحقيق: سهيل زكار، دط، دار الفكر: بيروت، دت.

(٢) مقالات الأشعريين لأبي الحسن الأشعري ص ٢٢٦.

قال ابن حزم: "قد ذكرنا قيام البرهان عن أن القرآن قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن؛ بتعجيز رسول الله ﷺ كَلَّ مَنْ ذكرنا عن أن يأتوا بمثله، وتبكيتهم بذلك في محافظهم، وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر، وأجمع المسلمون على ذلك"، ثم ذكر اختلاف الناس في هذا على خمسة أنحاء: فأشار إلى زعم الأشعري أن المعجز شيء لم ينزل من عند الله، ورد هذا القول، وأشار إلى رأي آخر للأشعري بأن المعجز هو المتلو، والنحو الثاني هو هل الإعجاز متماد أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة به في حياة رسول الله ﷺ، فرجح أن الإعجاز باق إلى يوم القيامة، وهذا هو الحق الذي لا يحل القول بغيره. والنحو الثالث: ما المعجز منه: أنظّمه، أم ما في نصه من الإنذار بالغيوب؟ فرجح ما سماه قول سائر أهل الإسلام من أن كلا الأمرين معجز: نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب، وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال، وبرهن على ذلك بأن قوله تعالى [إنا نأثمه]، ومعلوم أن أكثر سور القرآن ليس فيها إخبار بغيب، ولو قلنا بأن المعجز الإخبار بالغيب لنفينا الإعجاز عنها. ثم ذكر النحو الرابع: وهو ما وجه إعجاز القرآن: أكونه في أعلى مراتب البلاغة، أم أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط، فرد على من قالوا بأن إعجازه لأنه في أعلى درج البلاغة، وقال: فلا بد من المصير إلى قولنا أن الله تعالى منع من معارضته فقط، وأما درجته في البلاغة فقال: إن كنتم تريدون أن الله قد بلغ به ما أراد فنعم، هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين، فلا؛ لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين، لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه"^(١).

فيفهم من هذا أن ابن حزم -رحمه الله- قد رأى أن إعجاز القرآن الكريم في

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ١٢/٣، دط، مكتبة الخانجي: القاهرة، دت.

كونه ليس من نوع كلام المخلوقين، ومن ثمّ فليس في استطاعة أحد من الخلق معارضته، والله أعلم.

وقد علق الرافعي على رأي ابن حزم ساخراً، فقال: "ولم نرَ أحداً فسّر هذه الكلمة (الصرفة) كابن حزم الظاهري، فإنه قال في كتابه (الفصل) في سبب الإعجاز: "لم يقل أحد إن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قالها الله تعالى وجعله كلاماً له، أصاره معجزاً ومنع من مماثلته. . . قال: وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره".

نقول: بل هو فوق الكفاية، وأكثر من أن يكون كافياً أيضاً؛ لأنه لما قاله ابن حزم وجعله رأياً له، أصاره كافياً لا يحتاج إلى غيره!"^(١).

توجيه الشيخ الزرقاني:

استعظم الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان نسبة القول بالصرفة لأبي إسحاق الإسفراييني من أهل السنة، وإبراهيم النظام من المعتزلة، والشريف المرتضى من الشيعة، اعتماداً على علمهم وانتصابهم للدفاع عن كتاب الله تعالى، فقال: "على أنني أشك كثيراً في نسبة هذه الآراء السقيمة إلى أعلام من العلماء ويبدو لي أن الطعن في نسبتها إليهم والقول بأنها مدسوسة من أعداء الإسلام عليهم أقرب إلى العقول وأقوى في الدليل لأن ظهور وجوه الإعجاز في القرآن من ناحية وعلم هؤلاء من ناحية أخرى قرينتان مانعتان من صحة عزو هذا الرأي الآثم إليهم ولقد عودنا أعداء الإسلام أن يفتروا على رسول الله وعلى أصحابه وعلى الأئمة والعلماء فلم لا يكون هذا منه؟ على أن الحق لا يعرف بالرجال إنما يعرف الحق بسلامة الاستدلال وها قد طاش هذا الرأي في الميزان

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، مصطفى صادق ص ١٠٢، ٨، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

فلنرده على قائله أيا كان:

وليس كل خلاف جاء معتبرا ... إلا خلاف له حظ من النظر

وأحب أن تلتفت إلى أن هذه الشبهة قد أثارها أعداء الإسلام فيما أثاروا
وصوبوا منها سهما طائشا إلى القرآن وإعجازه فانكتف بنقضنا لها هنا^(١).

وكلام الشيخ الزرقاني مردود؛ لثبوت نسبة القول بالصرفة إلى النظام خاصة
في أكثر من مصدر.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم ٣٠٥/٢.

المبحث الرابع

أبرز المعارضين للقول بالصرفة وأدلتهم

أولئك عموم أمة محمد ﷺ، الذين يؤمنون بإعجاز كلام الله تعالى نظماً وخبراً وغيباً، ويرون أن إعجاز القرآن ذاتي، وليس لأمر خارج عنه، ومنهم:

أبو سليمان الخطابي:

وهو حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وقد ولد أبو سليمان الخطابي سنة ٣١٩هـ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ، يقول أبو سليمان: قد أكثر الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم صدروا عن ري، وذلك لتعذر معرفة وجه إعجاز القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته، ثم ذكر أربعة وجوه في إعجاز القرآن: فأولها: ما كان من ترك معارضته، مع وقوع الحاجة إليها، وهذا دليل العجز، ثم وصفه فقال: وهذا من وجوه ما قيل فيه، أبينها دلالة، وأيسرها مؤونة، وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه، ثم ذكر الوجه الثاني، وهو الصرفة، فرده وأبطله، ثم ذكر الوجه الثالث، وهو الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، فضعفه ولم يردده، ثم ذكر الوجه الرابع، فقال: وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر^(١).

عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ):

من المعارضين للقول بالصرفة الإمام عبد القاهر الجرجاني، وذلك من خلال كتابه "دلائل الإعجاز" وكتاب "الرسالة الشافية".

(١) مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، ص ٨١: ٨٣، مطبعة المدني: مصر، دت.

يقول مناقشا أصحاب القول بالصرفة: "ينبغي أن يقال: ما هذا الذي أخذتم به أنفسكم؟ وما هذا التأويل منكم في عجز العرب عن معارضة القرآن؟ وما دعاكم إليه؟ وما أردتم منه؟ أن يكون لكم قول يحكي، وتكونوا أمة على حدة، أم قد أتاكم في هذا الباب علم لم يأت الناس؟

فإن قالوا: أتانا فيه علم. قيل: أفمن نظر ذلك العلم أم خير؟ فإن قالوا: من نظر.

قيل لهم: فكأنكم تعنون أنكم نظرتم في نظم القرآن ونظم كلام العرب ووازنتم فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلوا والاجتهاد وإعمال الفكر، ولم تفرق عنهم خواطرهم عند القصد إليه، والمصد له لأتوا بمثله؟ فإن قالوا: كذلك نقول. قيل لهم: فأنتم تدعون الآن أن نظركم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شيء من أمرها، وأنكم قد أحطتم علماً بأسرارها، وأصبحتم ولكم فيها فهم وعلم لم يكن للناس قبلكم. وإن قالوا: عرفنا ذلك بخبر.

قيل: فهاتوا عرفونا ذلك، وأني لهم تعريف مالم يكن، وتثبيت ما لم يوجد!

ولو كان الناس إذا عن لهم القول نظروا في موداه، وتبينوا عاقبته، وتذكروا وصية الحكماء حين نهوا عن الورود حتى يعرف الصدر، وحذروا أن تجيء أعجاز الأمور بغير ما أوهمت الصدور إذا لكفوا البلاء، ولعدم هذا وأشباهه من فاسد الآراء، ولكن يأتي الذي في طباع الإنسان من التسرع، ثم من حسن الظن بنفسه، والشغف بأن يكون متبوعاً في رأيه، إلا أن يخدعه وينسبه أنه موسى بذلك، ومدعو إليه، ومحذر من سوء المغبة إذا هو تركه وقصر فيه. وهي الآفة لا يسلم منها ومن جنايتها إلا من عصم الله. وإليه عز اسمه الرغبة في أن يوفق للتي هي أهدى، ويعصم من كل ما يوتغ الدين، ويثلم اليقين، إنه ولي ذلك والقادر

عليه" (١).

بل إن الجرجاني ذكر أن العاقل لا يمكن أن يقول بالصرفة على النحو الذي يقول به أصحابها.

يقول: "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتداء القول بها ابتداءه على توهم أن التحدي كان إلى أن يُعبر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم في المعاني كلها. ذلك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أموراً شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها" (٢).

أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ):

من أعلام المعارضين للقول بالصرفة الإمام أبو بكر الباقلاني.

يقول: "فإذا ثبت هذا وجب أن يُعلم بعده أن تركهم للإتيان بمثله كان لعجزهم عنه، والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن: أنه تحداهم إليه حتى طال التحدي، وجعله دلالة على صدقه ونبوته، وضمّن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم، فلو كانوا يقدرّون على تكذيبه لفعّلوا، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه، بأمر قريب، هو عادتهم في لسانهم، ومألوف من خطابهم، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي، فلما لم تحصل هناك معارضة منهم، عُلم أنهم عاجزون عنها، يبين ذلك أن العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المكاييد، لا سيما مع استعظامه ما بدّهه

(١) الرسالة الشافية، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ص ١٥٤، ١٥٥، ط ٣، دار المعارف: مصر، ١٩٧٦م.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦.

بالمجيء من خلع آلهته، وتسفيه رأيه في ديانته، وتضليل آباءه، والتغريب عليه بما جاء به، وإظهار أمر يوجب الانقياد لطاعته، والتصرف على حكم إرادته، والعدول عن إلفه وعادته، والانخراط في سلك الأتباع بعد أن كان متبوعاً... ومعلوم أنهم لو عارضوه بما تحداهم إليه لكان فيه توهين أمره، وتكذيب قوله، وتفريق جمعه، وتشتيت أسبابه... فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك مع طول المدة، ووقوع الفسحة، وكان أمره يتزايد حالاً فحالاً، ويعلو شيئاً فشيئاً، وهم على العجز عن القدح في آياته، والطعن بما يؤثر في دلالاته؛ عُلِمَ مما بينا أنهم كانوا لا يقدرّون على معارضته ولا على توهين حجته^(١).

وجه الإعجاز في القرآن الكريم:

نعم ما وجه الإعجاز في القرآن الكريم؟ "أهو ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية... أم هو ما تضمن من أخباره عن قصص الأولين، وسائر المتقدمين... أو هو ما فيه من تشريعات محكمة، أو ما فيه من علوم كونية في خلق الكون والإنسان؟

كل هذا مردود بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها عن المستقبل أو الماضي أو التي لا تشريع محكم فيها، ولا تشير إلى علوم كونية في خلق الكون والإنسان، لا إعجاز فيها، وهو باطل، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها... وإن كانوا يعدّون مثل هذه الأمور من أوجه الإعجاز.

كما أن هذه الأمور لا تناسب العرب الذين شوفهوا بالقرآن الكريم، وتحداوا به -لما علمناه من أن شرط التحدي أن يكون الخصم متمكناً من الجهة التي تتحداها بها، وإلا بطل التحدي، وأيضاً السور الأولى نزلت وليس فيها إخبار عن غيب،

(١) إعجاز القرآن، الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب ص ٢٠، ٢١، تحقيق: السيد صقر، طه، دار المعارف: القاهرة، ١٩٩٧م.

ولا تشريع ولا علوم، ومن الثابت أنهم أعجبوا بها منذ اللحظة الأولى لنزولها، إذن لا بد أن تحتوي على السر الذي أعجزهم.

نحن نعلم أنهم قوم اشتهروا بالبيان، وبرعوا فيه، وقد أعجبوا ببلاغة القرآن الكريم، وشعروا بسموه عن قول البشر، ووصفوه بأنه سحر، ومعنى هذا أنهم يعتقدون أن القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوة خارقة ليست من جنس قوى البشر.

إذن لا يمكن أن يكون الوجه الذي أعجزهم، والسر الذي حيرهم إلا من ناحية القرآن اللغوية.

ولكن، أين يكمن هذا السر من اللغة؟ أفي الحروف أم في الألفاظ أم في التراكيب؟

كل هذا مردود؛ لأن الذي ينظر إلى القرآن الكريم، يجده من حروفهم ركبت كلماته، ومن كلماتهم ألفت جملة وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه، فالمادة اللغوية التي يتألف منها أي كلام واحدة لا تتغير^(١).

"ذلك أن اللغة فيها العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، وفيها العبارة والإشارة، والفحوى والإيماء، وفيها الخبر والإنشاء، ومنها الجمل الاسمية والفعلية، وفيها النفي والإثبات، وفيها الحقيقة والمجاز، وفيها الإطناب والإيجاز، وفيها الذكر والحذف، وفيها الابتداء والعطف، وفيها التعريف والتكثير، وفيها التقديم والتأخير... وهلم جرا"^(٢).

فطريقة تخير هذه الأمور، ووضعها في مكانها اللائق المناسب، وفق ما

(١) قضية الإعجاز القرآن وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص ٧٠ وما بعدها ط ١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٢) النبأ العظيم، دراز، محمد عبد الله، ص ١١٩، ١٢٠، تحقيق: أحمد فضلية، طبعة مزيدة، دار القلم: بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

يتطلبه المعنى، حتى تحدث الجملة صورة فنية رائعة، هذه الصورة هي التي يتشكل بها البيان، ويسمو بها أسلوب على أسلوب، ويتفاضل من أجلها أديب على أديب.

هذه الطريقة أو هذا التخير هو الذي يسميه الإمام عبد القاهر الجرجاني (النظم)، وهذا النظم يتفاضل حتى يصل إلى حد الإعجاز، ويخرج عن طوق البشر، إذ يكون الوجه الذي أعجزهم هو نظم القرآن البديع وتأليفه العجيب^(١).

والذي ندين الله تعالى به أن إعجاز القرآن الكريم في نظمه وتناسب الحروف داخل السور، وتناسب الكلمات بعضها مع بعض، وتناسب الآيات بعضها إثر بعض، وتناسب السور في أخذ بعضها بحجز بعض، وفيما تم الكشف عنه ويتم الكشف عنه من تناسب الحروف داخل الكلمات في الدلالة على المعاني التي تحملها، بالإضافة إلى الإعجاز فيما أخبر من الغيوب السابقة، والنبوءات اللاحقة، سواء كانت تاريخية أم علمية، ولا يخلو شيء من كتاب الله تعالى من وجه من وجوه الإعجاز، ولذلك كان تحدي الله تعالى للعرب أن يأتوا بسورة أو جزء من سورة منه، مما يؤكد على عموم الإعجاز في جميع ألفاظه ومبانيه.

القاضي عبد الجبار^(٢):

وهو من أئمة المعتزلة ومنظريهم، ومع هذا فقد رد القول بالصرفة، وأثبت إعجاز القرآن الكريم في كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، حيث في

(١) قضية الإعجاز القرآن وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص ٧٢.
(٢) **عبد الجبار بن أحمد** بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي، أبو الحسين، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالرّيح، ومات فيها، له تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، و الأمالي، و المجموع في المحيط بالتكليف، و شرح الأصول الخمسة، و المغني في أبواب التوحيد والعدل، و تثبيت دلائل النبوة، و متشابه القرآن. الأعلام للزركلي، ٢٧٣/٣، ٢٧٤ ط ١٥، دار العلم للملايين: بيروت، ٢٠٠٢م.

معجزا غيره وليس فيه صفة إعجاز؛ بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله^(١).

٢- يقول الباقلاني: "ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وإنما منع منها الصرفة- لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه، وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم: أن الكل قادرين على الإتيان بمثله، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه، لو تعلموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجب من قول فريق منهم: إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد"^(٢).

٣- فهذه الصرفة تسلب نظم القرآن وتأليفه كل فضيلة؛ لأنهم مُعجَّزون بالصرفة لا غير!! بل أكبر من ذلك أن هذه الصرفة تجعل مطالبة الخليفة في الإتيان بمثل القرآن مطالبة ظاهرها أنهم مخيرون في فعل ما طُوبوا به إجبارا مفاجئا لا مخلص منه، ولا إرادة لهم فيه، ولا يملكون له دفعا، فهم قادرين عاجزون في وقت معا، وهذا عبث محض، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(٣).

٤- يقول الإمام ابن تيمية: فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرّون على ذلك ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر كما قد أخبر الله به في قوله: [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا]^(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله ٢٢٧/٢، ط١، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني، ص ٣٠، ٣١.

(٣) مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، ص ٦١.

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه، وقد انتدب غير واحد لمعارضته لكن جاء بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله مثل قرآن مسيلمة الكذاب كقوله يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تتقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين^(١).

٥- ولو كانت الصرفة حقاً أدركه العرب في أنفسهم لتعجبوا من منعهم مع قدرتهم، ولم يتعجبوا من نظمه وبيانه

يقول الجرجاني: "فينبغي إذا تعجب المُتَعَجِّب وأكبر المُكَبِّر، أن يقصد بتعجبه وإكباره إلى المنع الذي فيه الآية والبرهان، لا إلى الممنوع منه وهذا واضح لا يشك^(٢)".

وتبقى كتب تفسير القرآن الكريم، على اختلاف مناهجها ومعالجاتها، وتناولاتها اللغوية، وما تضمنتها من دقائق الفقه والشريعة، وبديع الحكم واللطائف، شاهدة على إعجاز القرآن الكريم نظماً ومعنى، والله تعالى يكشف لعباده في طيات كتابه من وجوه الإعجاز ما لم يكن لهم على خاطر، كإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ٦/٢٨٢، تحقيق: علي الألمعي، ط١، دار الفضيلة: الرياض، ٢٠٠٤م.

(٢) الرسالة الشافية، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن ص ١٥٢.

المبحث الخامس

الرأي الراجح في القول بالصرفة

أولاً: عند القائلين بها:

١- فنجد إبراهيم النظام -فيما نقل عنه الشهرستاني- يرى أن الله تعالى صرف همم العرب عن معارضة القرآن الكريم.

٢- وأما الشريف المرتضى -فكما سبق- يرى أن الله تعالى سلبهم العلوم التي بها كانوا يقتدرون على الإتيان بمثله، وبمثل هذا قال ابن سنان الخفاجي.

٣- ما ورد عن هشام الفوطي وعباد بن سليمان من القول بأن القرآن أعراض، وليس علماً للنبي ﷺ، وهو من أفتح ما قيل في هذا الباب، حيث نفى عن كتاب الله أي إعجاز ذاتي فيه، أو خارج عنه.

ولعل إعادة كلام الشيخ أبي زهرة -رحمه الله- يلخص الكلام في القول بالصرفة عند القائلين بها:

يقول: (انصراف العرب عن معارضتهم للقرآن لم ينشأ من أن القرآن بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة بل لواحد من ثلاثة:

أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

ثانيها: أن صارفا إليها زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إرادتهم ولم تتبعث إليها عزائمهم فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.

ثالثها: أن عارضا مفاجئاً عطل مواهبهم البيانية وعاق قدرهم البلاغية وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها^(١).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم ٣٠١/٢، ط١، دار الفكر: بيروت، ١٩٩٦م.

ثانيا: رؤية الباحث من خلال ما سبق:

بعد هذا النظر والبحث في آراء القائلين بالصرفة، وتقننهم في تصورهما، لست أدري ما الداعي إلى هذا القول العجيب؟! إذا كانت نصوص القرآن الكريم واضحة الدلالة في التحدي بكتاب الله تعالى، ومعلوم أن التحدي لن يكون من جنس الإخبار بالغيب الذي لا يستطيعه البشر، ولا بالإخبار عن المستقبل الذي أيضا لا يستطيعه البشر، وما كان الله ليعجز عباده بشيء يعلم سبحانه -سلفا- عجزهم دونه.

فلم يبق -عقلا ومنطقا- إلا تحديهم في نظم القرآن وبلاغته وحسن نسجه، وعجيب تأليفه، وهو الباب الذي تقننوا فيه نظما وشعرا، وأقاموا له الأسواق، وعلقوه في أفضل أماكنهم تعظيما وتشريفا.

وهم مع تحدي الله لهم، وتكرار التحدي في صور شتى، وبأقذار متفاوتة عجزوا عن الإتيان بمثله، بل خضعوا لجمال القرآن الكريم، ووردت الروايات في تسلهم للاستماع إليه، وخضوعهم لجمال بلاغته، وروعة بيانه.

ثم جاء قوم، هم -دون ريب- أدنى منزلة من العرب الخالص -زمن النبوة - ففتحوا بابا من القول في إعجاز القرآن، ليس له سلف عند العرب الذين خاطبهم الله تعالى وتحداهم بكتابه، جيء لهم به مع الفلسفات الوافدة، الغربية عن العرب وبيئتهم!!!

وهم في ترددهم يعمهون، لم يأتوا بطائل من المنطق أو العقل يُحمل عليه ما ابتدعوا واخترعوا.

فخلاصة الامر أن القول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: [قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] ، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدراتهم ، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم .

كما أن القول بالصرفة بفروضه التي افترضوها، أو بشبهاته التي تخيلوها، لا يثبت أمام البحث، فينقضه ما دونه التاريخ وأثبتته التواتر، من أن دواعي المعارضة كانت قائمة موفورة ودوافعها كانت حاضرة، كذلك يبطلها ما هو معروف عند العرب حين خوطبوا بالقرآن لم تقع منهم المعارضة، لاقتناعهم بإعجاز القرآن وعجزهم الفطري عن معارضته.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة القرآن، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خاتمة:

أحمد الله تعالى على الإعانة على إنهاء هذا البحث، وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقت في الوفاء بمتطلباته من البحث والجمع والتأليف بين أجزائه.

أهم النتائج:

١-الصرفة عند القائلين بها تعني إما أن الله تعالى سلب العرب العلوم التي بها يقتدرون على الإتيان بمثل القرآن، أو صرف همهم عن المعارضة، أو أن الله تعالى صرفهم عن المعارضة مع قدرتهم عليها.

٢-ظهر القول بالصرفة -على اختلاف المعنى- في نطاقات أهل السنة، والمعتزلة، والشيعة.

٣-القول بالصرفة فيه تفرغ للقرآن الكريم عن أعظم ما ميزه الله تعالى من الإعجاز اللغوي.

أهم المصادر والمراجع:

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، دط، مكتبة الخانجي: القاهرة، دت.
٢. أبكار الأفكار في أصول الدين، الأمدي، علي بن محمد بن سالم، تحقيق: أحمد المهدي، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
٣. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرفاعي، مصطفى صادق، ط٨، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
٥. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله، ط١، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٦. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، ٨٨١، تحقيق: سهيل زكار، دط، دار الفكر: بيروت، دت.
٧. البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، دط، دار الهلال: بيروت، ١٤٢٣هـ.
٨. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني، محمد بن أحمد.
٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي.
١٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: علي الألمعي، ط١، دار الفضيلة: الرياض، ٢٠٠٤م.
١١. خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر صاحب كتاب الأعلام، أحمد العلانة، ط١، دار القلم: دمشق، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١٢. دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن، تحقيق:

- محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني: جدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
١٣. الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي، تحقيق: السيد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي: قم، إيران.
١٤. الرسالة الشافية، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ط٣، دار المعارف: مصر، ١٩٧٦م.
١٥. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، دط، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
١٧. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٣هـ. مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ط١، دار المسلم: الرياض، ١٤١٦هـ.
١٨. الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها، د. سامي عطا حسن، بحث مقدمة لجامعة آل البيت في الأردن.
١٩. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، ط٢، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٧م.
٢٠. فوات الوفيات، صلاح الدين الصفدي، محمد بن شاكر بن أحمد، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر: بيروت، ١٩٧٣، ١٩٧٤م.
٢١. قضية الإعجاز القرآن وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ط١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٢٢. القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد، الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، ط١، دار ابن الجوز: الدمام، ١٤٣٢هـ.

٢٣. مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، أبو بكر بن أيوب، تحقيق: رضوان رضوان، دط، دار الفكر: بيروت، ١٤١٨هـ.
٢٤. مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، ص ٦١، مطبعة المدني: مصر، دت.
٢٥. المعارف، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٢م.
٢٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق. تصحيح: هلموت ريتز، ط ٣، دار فرانز شتاينز: ألمانيا، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٢٧. الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، دط، مؤسسة الحلبي: مصر، دت.
٢٨. مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، دار النهضة: القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، ط ١، دار الفكر: بيروت، ١٩٩٦م.
٣٠. الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، تحقيق: محمد القمي، مؤسسة الطبع والنشر: الأستانة، دت.
٣١. النبأ العظيم، دراز، محمد عبد الله، تحقيق: أحمد فضلية، طبعة مزيدة، دار القلم: بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

